التعاون

التعاون قوام الأُمم وملاك أَمرها ومدار نظامها وحياتها وهو عماد الرقى والمدنية وأَساس كل تقدم وفلاح..

ما فرطت فيه أمة من الأُمم ولا جماعة من الجماعات إِلا كان التفرق شعارها والتخاذل عنوانها.

وذلك لأَن التعاون قوة معنوية لا تضارعها قوة فى ربط المجتمع وتقوية أركانه.

وقد اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى أَن يكون الاحتياج إِليه أَمرا فطريا فى الإِنسان.

إِذ يصعب على الفرد أَو جماعة إِنسانية معينة أَن تعيش بمعزل عن الجماعات الأُخرى.

وإِذا كان التعاون بين المجتمعات الإِنسانية واجبا لدفع عوادى الطبيعة واتقاء مخاطر الوحدة فإِن التعاون بين الشعوب الإِسلامية أَوجب.

لأَن تعاليم الإِسلامية صراحة وضمنا أَمرت بتعاون الجماعة والأُخوة والمحبة.

والقرآن الكريم أَعطانا من الدروس فى التعاون ما يزيدنا تقدما وتفتحا ووعيا، وهذا نبى الله موسى عليه السلام، وعندما أمره رب العزة بالذهاب إِلى فرعون الطاغية ليبلغه رسالة السماء، طلب من الله أَن يشرح صدره ويجعل له معيناً وناصرا يعاونه فى القيام بأَعباء ما كلف به من قبل ربه ويلتجىء إِليه فى أَمره، وأَن يكون من أَهله رجاء أَن يكون أَشد عونا له وأَكثر نصره من غيره.

قال تعالى حاكيا عنه: ﴿**قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ**

﴿أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ﴾[1].

وإن الناظر فى الدين الإسلامى وما جاءَ به من أُسس حكيمة لبناء مجتمع القوة، وإرشادات قوية ومبادىءَ سامية للأخذ بيد المجتمع إلى أقوم السبل كل ذلك يرينا الروح التعاونية السارية فى كل ما أتى به من أُسس وإرشادات ومبادىءَ.

أليس هو الدين الذى للإنسانية جمعاءَ به عزها وسعادتها لو تمسكت به وسارت على هديه وعملت بمقتضى تعاليمه.

وهذا رسول الله ﷺ يمكث فى مكة بعد البعثة زهاءَ ثلاثة عشر عانا يدعو الناس خلالها إلى الإسلام سرا وعلانية.

وكان يعاونه فى ذلك أصحابه الكرام الذين آمنوا برسالته وشرح الله صدورهم للإسلام.

وعلى رأسهم أبو بكر الصديق ذلك الصاحب الذى بذل مع الرسول ﷺ فى سبيل رسالة الإسلام وتبليغها غاية جهده.

ثم انظر كيف يتضرع رسول الله ﷺ إلى الله عز وجل أن يعز الإسلام بإسلام أحد العمرين: عمر بن الخطاب أو عمرو بن هشام.

ولما كان التعاون على الخير والتضامن فى الأعمال النافعة كفيلا بالسعادة ومبشرا بالسيادة.

حث الله سبحانه وتعالى عليه وبالغ فى ذلك فقال جل شأنه، ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[2].

---

(١) طه: ٢٥ ـ ٢٦.

(٢) المائدة: ٢.

وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[1].

والعالم الإسلامى فى حاجة إلى التعاون فى كل شيءٍ وخاصة فى الميادين الدولية التى تقتضى اتحاد الكلمة والوقوف بجانب الحق. ومن التعاون فى الإسلام:

أولا: التعاون المادى:

فإن كل من تأمل فى كل جزئية من جزئيات الدين الإسلامى وتطلع إلى تعاليم القرآن الكريم وإلى الآيات التى جاءت بنداء ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يتبين له أن التعاون حال فى تلك التعاليم حلول الروح فى الجسد.

وفى الزكاة يظهر التعاون المادى بأجلى معانيه حيث تقوى الرابطة ويعم الحب والوئام ويسود السلام والنظام.

ولذا قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾﴾[2].

والشارع الحكيم هدد من بخل بها مع القدرة علها بالوعيد الشديد.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾[3].

---

(١) الأعراف: ٩٦.

(٢) الأنفال: ٢، ٣.

(٣) التوبة: ٣٤، ٣٥.

وروى مسلم فى صحيحة عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من صاحب ذهب ولا فضة لايؤدى منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفت له صفائح من نار فأحمى فى نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره كلما بردت أعيدت له فى يوم مقداره خمسين ألف سنة . . .».

. . وروى البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: «من أتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ مهلزمتيه «شدقيه» ثم يقول : أنا مالك أنا كنزك تم تلا: ﴿ **وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** ﴾[1]. وذلك أن إخراج الزكاة عامل هام من عوامل تآلف القلوب وتجاذب النفوس وتضافرها.

ثانيًا : التعاون العملى:

ويقصد به المشاركة الفعلية، وقد ضرب الرسول ﷺ أكثر من مثل فى التعاون العملى ولنا فيه أُسوة حسنة وقدوة صالحة كما قرر القرآن الكريم: ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ** ﴾[2].

وروى أنه عليه الصلاة والسلام كان فى سفر فأمر بإعداد شاة فقال رجل: يارسول الله على ذبحها. وقال آخر : وأنا على سلخها. وقال ثالث : وأنا على طبخها، فقال رسول الله ﷺ: وعلى جمع الحطب، فقالوا: يارسول الله نكفيك العمل. فقال : علمت أنكم تكفوننى ولكنى أكره أن أتميز عليكم وإن الله سبحانه وتعالى يكره من عبد أن يراه متميزا بين أصحابه.

وعلى نهج الرسول الكريم سار أصحابه الكرام، فهذا أبو بكر الصديق رضى الله عنه يحلب للحى أغنامهم فلما استخلف قالت جارية منهم: الآن يحلبها فقال أبو بكر: بلى وإنى لأرجو ألا يغيرنى مادخلت فيه عن شىءٍ كنت افعله.

---

(١) آل عمران: ١٨٠.

(٢) الأحزاب: ٢١.

وهذا عمر بن الخطاب يتعاهد الأرامل فيستقى لهن الماءَ بالليل ورآه طلحة بالليل يدخل بيت امرأة، فهل إليها طلحة نهارا فإذا هى عجوز عمياءُ مقعدة، فسألها: ما يصنع هذا الرجل عندك؟ قالت: هذا منذ كذا وكذا يتعاهدنى يأتينى بما يصلحنى ويخرج عنى الأذى. فقال طلحة: ثكلتك أمك يا طلحة أعورات عمر تتبع؟

وقال مجاهد: صبحت ابن عمر فى السفر لأخدمه فكان يخدمنى.

وما حدث من الأنصار مع إخوانهم المهاجرين لأكثر دليل على فاعلية التعاون العلمى فى رحاب الإسلام. قال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾[1].

وقال رسول الله ﷺ موضحاً للمسلمين أُسس التعاون المادى الذى يكفل سلامتهم ونجاحهم فى الحياة: «أتدرى ما حق الجار: إذا استعانك أعنته، وإذا استقرضك أقرضته، وإذا افتقر عدت عليه، وإذا مرض عدته، وإذا أصابه خير هنأته، وإذا أصابته مصيبة عزيته، وإذا مات اتبعت جنازته، ولا تستطل عليه بالبنيان فتحجب عنه الريح إلا بإذنه، ولا تؤذه بقتار ريح قدرك إلا أن تغرف له منها، وإن اشتريت فاكهة فاهد له منها فإن لم تفعل فأدخلها سراً ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده»[2].

ثالثا: التعاون الروحى:

ويكون بالمشاركة القلبية والوجدانية والعمل على إزالة كرب المكروبين.

روى مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب

---

(١) الحشر: ٩.

(٢) رواه الخرائطى من مكارم الأخلاق. وانظر الترغيب والترهيب للمنذرى (ج ٣ ص ٥٨٥) الناشر مكتبة الجمهورية.

يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله فى الدنيا والاخرة، والله فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه، ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة، وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله بتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده، ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه».

وروى البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: «إن لله ملائكة سياحين، يطوفون ى الطريق يلتمسون أهل الذكر فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله عز وجل تنادوا هلموا إلى حاجتكم. قال: فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا. قال: فيسألهم ربهم: وهو أعلم بهم، ما يقول عبادى؟ قالوا: يقولون: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك. قال: فيقول: هل رأونى؟ فيقولون: لا والله ما ورأوك. فقال فيقول: كيف لو رأونى؟ قال: يقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيداً وتحميداً وأكثر تسبيحاً، قال: فيقول فيما يسألوننى؟ قالوا: يسألونك الجنة. قال: يقول وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا والله يارب ما رأوها. قال: فيقول فكيف لو رأوها؟ قال يقولون: لو رأوها كانوا أشد عليها حرصاً، وأشد لها طلباً وأعظم فيها رغبة. قال: فمم يتعوذون؟ قال: يقولون من النار. قال: يقول وهل رأوها؟ قال يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فرارا وأشد لها مخافة. قال: يقول: أشهدكم أنى قد غفرت لهم. قال: يقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة. قال: هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم».

* * *

التقوى

لن يعرف البشر منهجاً أمثل من منهج الإسلام، وهو يبصرهم ربهم،وهم عباده، ومن حق الربوبية إعظامها، ومن واجب العبودية أن يعيش المرءُ فى حجمه، وأن يشعر بمكانه، وأن يدرك طبيعته، فالإنسان مخلوق لربه الخالق، وعبد لربه العلى الأعلى، والإنسان محدود الطاقات، والمواهب، محصور القدرات، مختلف الأحوال، تحت سلطان إله قادر قاهر، وسعت قدرته وعلمه وحكمته ولطفه وعظمته كل شيءٍ ما كان وما هو كائن، وما سيكون، ومخلوق كالإنسان على هذا النحو من المحدودية والضعف والعجز لإله له كل هذا الجلال والكمال والجمال لابد أن يشعر نحو ربه بكل الإعظام له والخشوع إليه، من هنا جاءَ الإسلام يدعو المسلمين إلى عبادة الله وحده. وإذا كان الله هو الكمال المطلق، فعبادة الإنسان لله هى أن يتجه إليه جل جلاله فى صلاته، ويلحظه دوما فى معاملاته، ويرقبه فى تصرفاته، وبذلك يكون الكمال المطلق هدفه، والتجرد عن الهوى فى كل ما يباشره بطبيعته الإنسانية فى طريق للوصول إلى هذا الهدف. وتقوى الله تبارك وتعالى خير ما تعين الإنسان على الوصول إلى الهدف، ولهذا نجد الإسلام يخص عليها، ويأمر بها ويرغب فيها ويدعونا أن نمنحها حقها الواجب وقدرها المستطاع من الطاقات والقدرات فى النفوس، والوجدانات، والضمائر، والأخلاق والسلوك وفى شتى أنماط الحياة، وصور التعامل.

والتقوى من القيم الإسلامية الرفيعة، والتى جاءَت فى اللغة العربية من الفعل الثلاثى «وقى» والوقاية مصدر بمعنى الحفظ والصيانة. ويرى الزمخشرى أن المتقى فى اللغة اسم فاعل من قولهم: وقاه فاتقى. والوقاية فرط الصيانة. والمتقى فى الشريعة الذى يقى نفسه تعاطى ما يستحق بع العقوبة من فعل أو ترك.

والتقوى بمعنى الاتقاء والاتقاءُ أحد الوقاية. والتقوى الاحتراز بطاعة الله عن عقوبته وهو صيانة النفس عما تستحق من فعل أو ترك. والتقوى فى الطاعة يراد

بها الترك والحذر. وسأل عمر بن الخطاب رضى الله عنه أُبياً عن التقوى؟ فقال: هل أخذت طريقاً ذا شوك؟ قال: نعم. قال: فما عملت فيه؟ قال: تشمرت وحذرت. قال: فذاك التقوى. وقد أخذ هذا المعنى ابن المعتز فنظمه فى قوله:

خل الذنوب صغيرها ... وكبيرها ذا التقى

واصنع كماش فوق أر ... ض الشوك يحذر ما يرى

لا تحقرن صغيرة ... إن الجبال من الحصى

وقال طلق بن حبيب: التقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله، تخاف عقاب الله.

ولعلنا ندرك فى وضوح أن ميزان العمل فى الإسلام ليس ميزاناً نظرياً، ولكنه، كما يرى العلماءُ ميزان قائم فى صميم العمل، وفى قلب الخبرة، فلا يكفى لأن يكون المسلم مسلماً أن ينطق بالشهادتين ويعرف أن الله موجود، ويثبت وجوده بأدلة عقلية، ولكن لابد أن يعرفه عن طريق العبادة التى شرعها الله وهى الصلاة وعن طريق العبادات الأُخرى المفروضة. وليس المسلمون جميعاً شواءً من حيث أسلافهم إذا كانوا جميعاً معتقدين بوجود الله وملائكته ورسوله والبعث ويقيمون الصلاة ويؤدون الزكاة، بل لكل منهم منزلة وفيعة وقيمة بمقدار سلوكه وعمله وأداء العبادات، والميزان الجديد الذى جعله الإسلام لمعرفة قيمة أعمال المرء هو التقوى، وتقوى الله تبارك وتعالى حين يخصنا الإسلام عليها، ويدعونا إليها يرغب أن تكون لدى المسلمين الوقاية الذاتية، والمتابعة الأمنية والمحاسبة الدائبة، والمراجعة الدقيقة، لكل ما يصدر عن الإنسان فى السر والعلن فى النفس والأُسرة والمجتمع فى اليسر والعسر والمعرفة والثقافة والعلم والأخذ والعطاء، والبيع والشراء والحل والترحال والمجالس والنتديات، ثم فى سائر ما فى الوجود من مظاهر الحياة والأحياء.

والتقوى إحساس خاص برقابة الله، وبأن الله أقرب إلى الإنسان من نفسه، وما يشعه ذلك الإحساس فى القلب البشرى من حساسية وإرهاق. والتقوى حالة

فى القلب يشير إليها اللفظ بظلاله، وحالة تجعل القلب يقظا حساساً شاعراً بالله فى حالة، وخائفاً متحرجاً مستحيياً أن يطلع عليه الله فى حالة يكرهها. والآيات الكريمة التى جاءت فى التقوى كثيرة حتى أن كلمة التقوى تأتى فى عشرات الآيات، بل يتكرر ذكرها فى الآية الواحدة. قال تعالى: ﴿**لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾[١]. والتقوى الأُولى عن الشرك، والتقوى الثانية عن البدعة، والتقوى الثالثة عن المعاصى الفرعية. وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ**﴾[٢]. أى اتقوا الله حق تقاته وذلك بدوام خشيته والعمل بموجبها.

وقال تعالى: ﴿**وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ**﴾[٣]. يقول الخطيب فى تفسيره: «نبه الله سبحانه وتعالى» عباده إلى أن هناك زاداً باقياً يجب عليهم أن يحرصوا عليه، وأن يجتهدوا فى تحصيله، وهو التقوى فهى الزاد الطيب الباقى الذى يعينه على الوصول إلى الله، والتعرض لهواطل رحمته وغيوث رضوانه، وقوله تعالى: ﴿**وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ**﴾ تنويه بشأن العقل للعقلاء الذين يحترمون عقولهم ويستجيبون لما تدعوهم إليه من إيثار ما يبقى على ما يفنى، وشراء الآجل بالعاجل، فالعقلاءُ الراشدون هم أولى الناس بأن يرجى عندهم الخير ويؤمل فيهم الاستقامة والهدى.

والتقوى لا تقوم فى كيان إنسان إلا وسعها العلم وذلك أنه إذا نظر الناظر إلى هذا الوجود بعين العالم وبأجهزة العلم رأى فى اختلاف الليل والنهار وفى تعاقبهما لمحة مشرقة من لمحات حكمة الله وقدرته، وعلمه ففى الاختلاف بين الليل والنهار ضمان وثيق لكفالة الحياة للكائنات على هذا الكوكب الأرضى. فما كانت لتطيب

---

(١) المائدة: ٩٣.

(٢) آل عمران: ١٠٢.

(٣) البقرة: ١٩٧.

الحياة أبداً بل ولا تقوى الحياة بحال للمخلوقات وخاصة الإنسان لو أن الزمن كان نهارا دائماً أو ليلا مستمراً، وفى هذا يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[1].

وليست هذه هى معطيات النظر فى اختلاف الليل والنهار بل هى معطيات فى كل نظرة ينظر بها إلى كل ما خلق الله فى السموات والأرض من الهباءة والذرة إلى الشموس والكواكب. ففى كل ما خلق الله لمسات من حكمته، وأقباس من عمله ونعماتمن رحمته، وآثار من قدرته. والنظر المتفحص الذكى هو الذى يكشف عن وجود الله، ويحدث عن جلاله وعظمته وتفرده بالخلق والأمر، ومن هنا ينبعث الإيمان بالله ويقوم الولاءُ له وتتحقق التقوى للمتقين من عباده روى أحمد عن علقمة عبد الله المزنى عن رجال من أصحاب النبى ﷺ أنه قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليتق الله عز وجل وليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليتق الله ليقل خيراً أو ليسكت».

ولهذا كله كانت التقوى معنى إيجابياً ينفرد بالحفظ والصيانة والوقاية التى تنشأُ ثمرة للأعمال الصالحة فتكون بذلك رداءً يقى الإنسان السوءَ ويحصنه من الشقاء فى الدنيا والعذاب فى الآخرة.

ومن خصائص المؤمنين أنهم متقون يتميزون على غيرهم بالوقوف عند حدود ربهم، لا يشغلهم شىءٌ عن طاعة الله، ولا تستويهم المعاصى مهما كان فيها المسلم دائماً أمام مواقف صعبة فلذلك يتسلح بالخشية ويتقوى بالرجاء، فيتخطى الصعاب ويحقق فى حياته أعمالا يثبت بها أنه أقوى من إغراء الحرام، وأصبر على الاستقامة على دين الله.

---

(١) القصص: ٧١ ـ ٧٣..

والمتفرس يدرك أن الإسلام دين الحياة وروحها ومظهر الحياة فى الإسلام كدين جاءَ ليعطى من شأنها إنما يبدو عمليا فى الإنسان الذى يؤْمن به ويتمثله ضميره، وتترجمه أَخلاقه ويتجسده سلوكه والمجتمع الإسلامى الحق هو الذى يدرك أَوامر الله، ويكون عند حسن ما طلب الله منه، ودعا إليه من يقين وأَخلاق وفضائل والتقوى مصباح المؤْمنين عندما يدلهم بهم الظلام، والنجم الهادى عندما تحيط بهم الشكوك وتزلزلهم الريب. قال تعالى: ﴿ **وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ﴿٩٦﴾ ﴾[1].

وكتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى سعد بن أَبى وقاص رضى الله عنه ومن معه من الأَجناد الذين توجهوا لحرب الفرس بعد أَن علموا أَن الفرس أعدوا جيشاً لمهاجمة المدينة كتب إلى القائد يعد يقول: «أَما بعد فإنى آمرك ومن معك من الأَجناد بتقوى الله على كل حال فإن تقوى الله أَفضل العدة على العدو، وأَقوى المكيدة فى الحرب، وآمرك ومن معك أَن تكونوا أَشد احتراساً من المعاصى منكم من عدوكم فإن ذنوب الجيش أَخوف عليهم من عدوهم. وإنما ينصر الله المسلمين بمعصية عدوهم لله، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة لأَن عددنا ليس كعددهم ولا عدتنا كعدتهم. فإن استوينا فى المعصية كان لهم الفضل فى القوة وإن لم ننصر بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا. فاعلموا أَن عليكم فى سيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون. فاستحيوا منهم، ولا تعملوا بمعاصى الله وأَنتم فى سبيله، ولا تقولوا عدونا شر منا فلن يسلط علينا، فرب قوم سلط عليهم شر منهم».

وهكذا كانت الوصية بالتقوى فى المقام الأَول عند المسلمين العاملين ولا سيما عند تجدد الظروف المناسبة التى يمكن أَن تكون معينا لا ينضب للتقوى، ومددا يغذيها بين جوانح المتقين.

* * *

(١) الأعراف: ٩٦.

١ - القرآن الكريم
٢- كتب التفسير ..... القرطبى وابن كثير والواضح والألوسى والمنار
٣- كتب السنة ..... البخارى وصحيح مسلم
٤- الدين والحياة ..... وزارة الأوقاف
٥- علم الأخلاق ..... للدكتور مزروعة
٦- تاريخ النظريات الأخلاقية ..... الدكتور أبو بكر ذكرى
٧- الدعوة الإسلامية ..... الدكتور أحمد غلوش
٨- تأملات فى فلسفة الأخلاق .... الدكتور أبو بكر ذكرى
٩- الدين والحضارة ..... الدكتور محمد البهى
١٠- نهضة الداعى ..... الأستاذ عبد المنصف محمود
١١- ضحى الإسلام ..... لأحمد أمين
١٢- ظهر الإسلام ..... لأحمد أمين
١٣- الموسوعة القرآنية ..... ٦ مجلدات للأستاذ إبراهيم الإبيارى وعبد الصبور مرزوق
١٤- بصائر ذوى التمييز ..... ٦ مجلدات للفيروزابادى
١٥- ندوة المحاضرات ..... ١٠ مجلدات (السعودية)
١٦ - مجلة الجامعة ..... (المدينة المنورة)
١٧ - قافلة الزيت..... (السعودية)
١٨- الندوة..... (مكة المكرمة)
١٩- الخفجى..... (السعودية)